الانتفاضات الشعبية المتجددة تعم المدن الايرانية

مشهد من مشاهد الانتفاضة يتكرر يوميا في انحاء البلاد

اعلان الاحكام العرفية وحالة الطوارئ في الجيش تسقط مزاعم السلطة

شاه ايران بين فتح صمامات امان للنظام وتشديد القبضة الحديدية

خلال الموجة ما قبل الاخيرة لاعمال العنف والاضطرابات التي شهدتها انحاء المدن الايرانية في انتفاضات جماهيرية لم تكل منذ بداية هذه السنة ، تلقى الايرانيون وعدين : احدهما من قمة السلطة الايرانية ـ من الشاه ـ والثاني من قمة المعارضة الايرانية ـ من الامام اية الله الخميني الذي يعيش حاليا في المنفى ، في العراق . وعد شاه ايران كانت له دوافعه التي لا يصعب فهمها على اي مراقب عادي لاحداث ايران الهامة منذ مطلع العام حتى اليوم . وهو وعد يبقى كلاما بكلام ، يحاول منه الشاهاستحصال هدفه من قوى المعارضة . اما وعد الامام الخميني فلم يلبث ان تحقق . ويواجه نظام حكم الشاه ما وعد به .

لقد وعد شاه ايران بان الانتخابات العامة ستجري في حزيران ١٩٧٩ كخطوة نحو نقل البلاد الى الديمقراطية ، بحسب زعمه . ولكنه بدأ يتراجع في تلميحاته المدروسة ، الى « الارهاب » الذي زعم انه سينمو كلما طبقت خطوة باتجاه الديمقراطية .. وكان الامام اية الله الخميني الذي يقود من منفاه « المعارضة الدينية » لنظام الشاه ، قد وعد الشاه على اثر الانتفاضة الجماهيرية ما قبل الاخيرة في ايران ، « بشهر رمضان حار » ضد نظامه . وكانت المعارضة على وعدها ...

فقد اجتاحت تظاهرات عنيفة مناطق عديدة من ايران في الاسبوع الماضي ، وتحولت في مدينة اصفهان الى حرب شوارع حقيقية بين المتظاهرين المناهضين لحكم الشاه وبين قوات السلطة القمعية على امتداد اسبوع ، خمدت من بعد ان اعلن فيها الشاه الاحكام العرفية : فقد اعلن منع التجول من الثامنة مساء وحتى السادسة صباحا . واحتلت الدبابات والمصفحات شوارع المدينة التي تعيش في ظل الحراب وفوهات المدافع ، ويمنع فيها تجمع ما يزيد عن ثلاثة اشخاص لاي سبب كان ويحال المخالفون فورا الى المحاكمة العسكرية . ويبلغ عدد سكان اصفهان ما يزيد عن نصف مليون نسمة . وتعتبر المدينة من اهم المواقع الصناعية في جنوب ايران . ويعيش حوالي ٢٠ الف اميركي في هذه المدينة ، التي تضم ٣٠ مؤسسة اميركية . لكن اغلب الاميركيين فيها هم من الخبراء العسكريين الذين يعملون في الصناعات العسكرية الحكومية او في مشاريع مدنية ، او في تدريب القوات المسلحة الايرانية . وقد انذرت القنصلية الاميركية في المدينة ، رعاياها بضرورة ملازمة منازلهم حتى اشعار اخر ، لادراكها عمق شعور العداء تجاه الولايات المتحدة الذي تكنه قوى المعارضة الايرانية بسبب المساهمة الفعالة للولايات المتحدة في تعزيز نظام حكم الشاه واجهزته القمعية ، وفي استنزافها للثروات الايرانية .

اهداف حكومية واميركية

وكانت معركة اصفهان قد اندلعت بعدماطلقت الشرطة النار على منزل اية الله حسين خادمي ، احد كبار علماء الدين وحيث كان الالاف من المواطنين قد تجمعوا لحضور مهرجان خطابي معاد للنظام . ورغم ان السلطة قد امتنعت عن كشف عدد القتلى والجرحى في تلك الحادثة الا ان شهود عيان قدروهم بالعشرات ، وعدد الجرحى بالمئات. والمعروف ان اية الله حسين خادمي من اتباع الزعيم الروحي الامام الخميني . وكان قد ترأس سلسلة من الاجتماعات الدينية ـ السياسية عقدت في منزله لايام متوالية . وكان المنزل يزدحم بالملصقات المعادية للشاه ، ويصور الشهداء الذين سقطوا برصاص السلطه ! وانفجر الوضع من ثم، في انحاء المدينة . واستهدف المتظاهرون المصارف والمحلات التجارية وعددا من المؤسسات الحكوميه والشركات الاميركية ، اضافة الى فندق شاه‌عباس الضخم ونادي اميركي في المدينة . وكانوا يستخدمون قنابل المولوتوف والحجارة لاشعال الحرائق وتدمير الواجهات . وقد عجزت قوات الشرطة وقوات الجيش المساندة ، عن السيطرة على المتظاهرين والامساك بزمام الوضع في هذه المدينة التي تعتبر معقل المعارضة الدينية للنظام، وهذا العجز اجبر السلطة على نزع القفاز الحريري عن قبضتها الحديدية ، فاعلنت فرض الاحكام العرفية على المدينة .

لكن كما وعدت المعارضة الشاه بشهر رمضان حار ، فان الشعلة التي التهبت في مدينة اصفهان امتد لهيبها الى مدن ايرانية اخرى . فانفجرت الانتفاضة الشعبية في مدينة شيراز حيث جرت اشتباكات دامية بين المتظاهرين وقوات السلطة ، اسفرت عن سقوط عدد من القتلى والجرحى ، بالاضافة الى حملة اعتقالات كانت حصيلتها ٤٠٠ شخصا اودعوا السجن بتهمةالاشتراك في الانتفاضة، وذكر اية الله حسين الخادمي ان هناك ما لا يقل عن ١٥٠ شخصية اسلامية « مرموقة » معتقلة في سجون الشاه منذ اندلاع الانتفاضة الاخيرة . وطالب الحكومة ان تحترم الدستور ، وان تطلق سراح هؤلاء ، وان عليها ايضا تقديم المبررات لعمليات الاعدام التي نفذتها مؤخرا ـ الامر الذي يكشف النقاب عن لجوء السلطة مؤخرا ، الى التصفية الجسدية لعناصر المعارضة البارزة التي وقعت في اسرها منذ انفجار الاحداث مجددا .

ومن شيراز الى تبريز ، المدينة في شمالي ايران ، حيث قام ٤ الاف طالب في جامعة اذربادلمان بعقد مسيرة احتجاجية شارك فيها عدد من اساتذة الجامعة ، ضد وجود الشرطة داخل الحرم الجامعي. هذا ، بينما نظم المتظاهرون ضد الحكم مهرجانا صغيرا في احد الميادين الرئيسية في طهران ، نتج عنه اشتباكات وزعمت السلطة بانه لم تقع اصابات ... لكن انفجارات حصلت في العاصمة تحفظت السلطة حول ما الحقته من اضرار ، بينما تحدثت تقارير في الوقت نفسه عن اضطرابات في الاهواز . لكن التظاهرات عادت فانفجرت عنيفة في العاصمة طهران . وقام المتظاهرون بتحطيم الواجهات الزجاجية لعدد من المصارف ودور السينما والمحلات التجارية . وهاجم المتظاهرون في طهران النادي الاميركي ، واشعلوا النار في احد فروع مصرف « صادرات ايران » ، واتت النيران على محتوياته قبل ان يتمكن رجال الاطفاء من الوصول اليه .

واستمر لهيب الانتفاضة في الامتداد حتى وصلت مدن نجف اباد وشاه رضا وهمايون شهر ، حيث اضطرت السلطة قبل ان يفلت الزمام من ايديها ، الى اعلان الاحكام العرفية فيها ، كما فعلت في مدينة اصفهان . وبرغم عدم توفر التفاصيل للمراسلين ، فقد ذكرت الصحف الايرانية اسماء مدن اخرى : اهوا عبدان وكيرمانشاه وخورا مباد ، وقزوين واراك وجرسانجان وتبريز وكاشان، واردبيل ، من بين المدن التي قالت ان الشرطة قد اضطرت فيها الى التدخل لتفريق المتظاهرين .. وظهر من تقارير الصحف الايرانية ان العشرات من فروع مصرفي « صادرات ايران » و « البنك الاهلي الايراني » كانت من اولى اهداف المتظاهرين بالاضافة الى مراكز حزب « راستاخيز » والحانات والمؤسسات الحكومية والاميركية .

ادعاءات ساقطة

لقد ارغمت حكومة الشاه على وضع قوات الجيش الايراني في جميع انحاء البلاد في حالة التأهب استعدادا للتدخل لقمع الانتفاضات ، وذلك من بعد ان كانت قد اعلنت الاحكام العرفية في عدد من مدن البلاد ، في ضوء عجز قواتها القمعية عن اعادة الامساك بزمام الاوضاع في المناطق التي تشهد تفجر الانتفاضات الشعبية . ووضع الجيش الايراني في حالة التأهب بعد مرور اقل من اسبوع على انفجار الوضع في معظم انحاء البلاد ، وفي قلب العاصمة طهران ، تسقط ادعاءات السلطة ان فيما يتعلق بالدوافع وراء الانتفاضة ، او فيما يتعلق باهميتها ، لان قراري اعلان الاحكام العرفية ووضع الجيش في حالة تأهب ما كانا ليصدران لولا ادراك السلطة ان امن النظام واستقراره يتعرضان لخطر يستدعي هذه الاجراءات الامنية غير العادية .

ففي الشهر الماضي فقط وخلال الانتفاضة الشعبية ما قبل الاخيرة ، كان شاه ايران يسخر من هذه الظاهرة التي لم تتوقف منذ بداية العام ، في تصريح لاحدى الصحف الاجنبية ويقول بانه لا يعيرها اهمية ، ويتهم اصابع اجنبية بتحريك « عناصر مخربة » في الداخل ، الى ما هنالك من ادعاءات تحاول فيما تحاوله : التقليل من اهمية ما يجري في ايران من انتفاضات شعبية منذ بداية العام ، والتبرؤ من مسؤولية اوضاع الكبت والاضطهاد والظلم والاستغلال ، التي تحركجماهير الشعب الايراني الى الانتفاض ضد النظام ، والقاء التبعة على جهات خارجية لتصوير الامر وكأن ثمة مؤامرة تحاك ضد ايران ... (!)

ولم تتغير كثيرا تصريحات السلطة الايرانيةحول الاحداث الاخيرة ، عن الادعاءات التي كانتتطلقها بالامس ، عندما كانت الانتفاضات الشعبية تتوالى كل اربعين يوما ، وبالرغم مما في اجراءاتها الامنية الاخيرة من اعتراف ضمني بمدى مناهضة جماهير الشعب الايراني لنظام الحكم القائم ، وبالقوة المتزايدة التي تكتسبها القوى المعارضة للحكم والمطالبة باسقاطه ، وايضا بقوة الحافز لدى هذه الجماهير التي يدفعها الى النزول في الشوارع ، في تظاهرات عنيفة ، في ظل حكم استبدادي طالما اعتمد سياسة ارهاب الجماهير، الوسيلة الانجع والمفضلة ، لتعزيز امنه وضمان استمراره .

لقد استدعى (...) شاه ايران في الاسبوع الماضي ، مراسلي الصحف والوكالات الاجنبية ، وابلغهم بانه « يتوقع موجة جديدة من النشاطات الارهابية في اعقاب ما وصفه بـ « الخطوات الديمقراطية» الجديدة التي قرر اتخاذها ، وحذر من انه « سيعاقب المتمردين بقسوة » . وزعم الشاه

شاه ايران : سخر منهم بالامس ويخافهم اليوم

امام هذا النفر من الاجانب ، بانه « كان يفكر برفع الحظر عن حزب توده الشيوعي الايراني ، كجزء من الخطوات الديمقراطية ، ولكنه امتنع عن ذلك بسبب الوضع الجيو ـ سياسي لايران ... » وزعم ايضا ، بان بعض العناصر الشيوعية النشطة في ايران قد « تلقت اوامر » للعمل ضد النظام واستقراره . وكان الشاه قد هدد « بسحق » المتطرفين ان هم حاولوا عرقلة التحركات في اتجاه اعتماد الليبرالية السياسية ، وزعم في المؤتمر الصحفي الذي عقده ، بانه سيبذل كل ما في وسعه لتصبح البلاد ديمقراطية ، وقال : « لقد حان الوقت لان تلعب المعارضة دورها في صورة صحيحة (...) ولو كنت ديكتاتوريا لهانت الامور ، لكنني مسؤول عن سلالة ويفترض في ان افكر في المستقبل » . وللتدليل امام الصحافيين الاجانب على صدق « نواياه الديمقراطية » ، اكد لهم بان مرشحين من خارج حزب « راستاخيز » الواحد ، سيتمكنون من خوض لانتخابات النيابية التي قال انها ستجري في حزيران ١٩٧٩ ، واضاف بان هذا يعني « ان مجموعات سياسية عدة تستطيع ان تستعمل الاذاعة والتلفزيون في حملاتها الانتخابية شرط ان تظل في اطار القوانين المرعية والدستور » (!) ولاحظ الشاه بان خطرين يتهددان ايران في الوقت الحاضر ، وهما « الشيوعية الدولية التي تعمل تحت اقنعة مختلفة » ، والارهاب الذي سينمو عندما تطبق الديمقراطية في البلاد (!)

وبرغم ان الشاه لم يتراجع عن القاء تبعة ما يحدث في ايران على « الشيوعية الدولية » ، وعلى الشيوعيين الايرانيين الذين يتلقون الاوامر ... وبرغم انه لم يتراجع عن وصم جماهير الشعب الايراني المنتفضة ضده ، بالارهاب ، والى ما هنالك من مزاعم مألوفة ، الا ان تصريحاته كان لها وجه اخر . فقد تحدث عن «خطوات ديمقراطية قرر اتخاذها » ، وعن « اعتماد الليبرالية السياسية » ، وعن ان الوقت قد حان « لان تلعب المعارضة دورها » ، وعن الانتخابات العامة في الصيف المقبل ... وذلك في تحول ملفت للنظر عن مضامين تصريحاته في الماضي القريب ، حيث كان يكتفي بتوزيع الاتهامات وبالتهديد والوعيد ضد القوى المعارضة والمناوئة لنظام حكمه . ففي الانتفاضات الشعبية المتوالية التي تشهدها ايران منذ مطلع العام ، عبرة ما كان ممكنا ان تمر مرورا عابرا على الشاه . لقد ادرك بعد طول تعنت ، ان عليه ان يفتحصمامات امان لنظام حكمه ، لينفس من النقمة العارمة التي لا بد وان تصل في يوم من الايام ، الى وضع نظامه على برميل بارود . ان صمامات الامان هي بالضبط ما يعنيه كل كلامه عن التحرك بالبلاد المزعوم ، باتجاه الديمقراطية . وهو قد حافظ على خط الرجعة في اشارته المتعمدة الى « الارهاب » الذي سينمو مع كل خطوة من الخطوات باتجاه « الديمقراطية » التي يضمرها لايران ، وفي تفسيره للاحداث الاخيرة على انها « الرد الارهابي » على « الخطوات الديمقراطية » المزعومة التي قرر اتخاذها . فهو يحاول زرع القناعة في اذهان جماهير الشعب بان اختيار طريق الديمقراطية لا بد وان يرافقه « الارهاب » . وكأنه يخيرها بين الديمقراطية التي يرافقها الارهاب بالضرورة وبين سياسة الامن والاستقرار في ظل القبضة الحديدية (!)

لكن مأزق نظام حكم الشاه انه لم يعد قادرا حتى على تقديم مثل هذا الخيار . ففي ظل الحكم الاستبدادي الذي يعتمد ارهاب القبضة الحديدية ، تنزل جماهير الشعب الايراني الغاضبة الى الشوارع تحرق وتدمر رموز السلطة ورموز الاستغلال في جولات منتظمة ومنظمة ، منذ بداية العام ، وتعجز السلطة باجهزتها القمعية ذات السمعة الشهيرة ، عن قمع هذه الانتفاضات ومنع تكرارها، وتضطر هذه السلطة اخيرا ، الى فرض الاحكام العرفية ووضع الجيش في حالة تأهب في انحاء البلاد لمواجهة وضع غليان جماهيري ، سخر شاه ايران من اهميته قبل فترة ليست ببعيدة ...